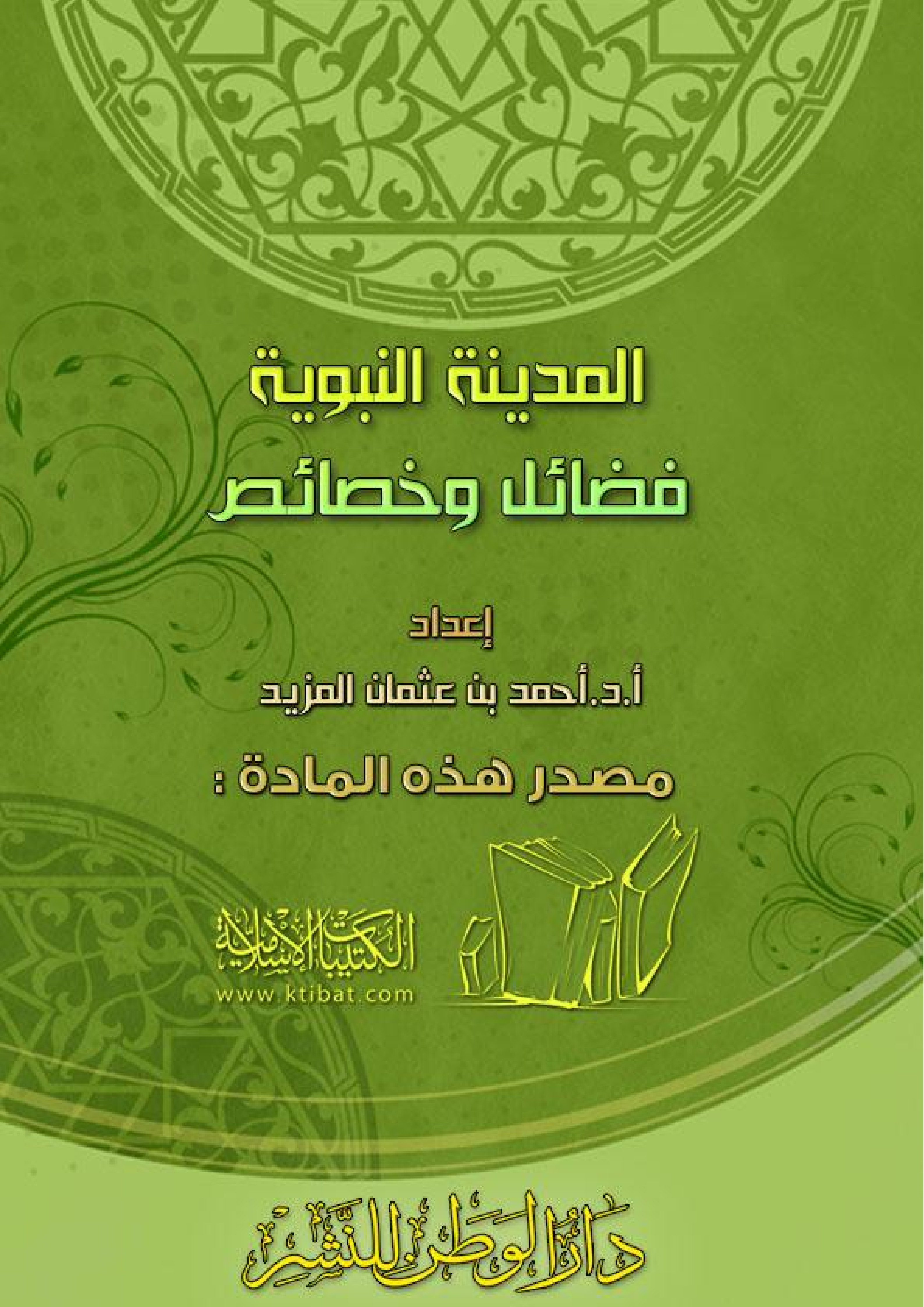

المدينة النبوية
فضائل وخصائص
إعداد
أ.د.أحمد بن عثمان المزيد
مصدر هذه المادة :
الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com
دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن للمدينة النبوية من الفضائل والخصائص والمحاسن ما ليس لغيرها من مدن وحواضر الإسلام الأخرى- سوى مكة شرفها الله — فهي مهد الإسلام، وحصنُ الدعوة، ومهاجر النبي ﷺ وأصحابه، بها عاش النبي ﷺ سِني عمرة الأخيرة، وبها توفي، وبها قبره الشريف ومسجده ـظم، بها عقدت الألوية، ورفعت الرايات، وقدمت التضحيات، وانطلقت كتائب التوحيد مشرّقة ومغربة تدكُّ أعناق الجبابرة، وتسطر بدمائها تاريخًا جديدًا للبشرية... إنها طيبة الطيبة، والقرية المباركة التي قال فيها النبي ﷺ: «أمرت بقريةٍ تأكل القرى، يقولون يثرب، وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكيرُ خبثَ الحديد» [متفق عليه].

وهذا يدل على أنا اختصاص النبي ﷺ المدينة بالهجرة كان بأمرٍ من الله تعالى لأنه قال: «أمرت بقرية»؛ أي: بالهجرة إليها.

وفي قوله: «تأكل القرى»، وجوه:

أحدها: أنها مركز جيوش الإسلام في أول الأمر، فمنها فتحت القرى، وغنمت أموالها وسباياها.

والثاني: أن أكلها وميرتها تكون من القرى المفتتحة.

والثالث: أن الإسلام يكون ابتداؤه من المدينة، ثم غلب على سائر القرى، ويعلو على سائر الملل، فكأنها أتت عليها[(١)].

الهجرة إلى المدينة

كان رسول الله ﷺ يخرج في كل موسم فيعرض نفسه على القبائل ويدعوهم إلى الله عز وجل في منازلهم وأسواقهم.

إسلام الأنصار:

كان الأنصار من الأوس والخزرج يسمعون من اليهود أن نبيًّا يبعث في هذا الزمان، ولقي رسول الله ﷺ عند العقبة ستة نفرٍ من الأنصار كلهم من الخزرج، فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا، ثم رجعوا إلى المدينة فدعوا إلى الإسلام، ففشا الإسلام في المدينة، فلما كان العام المقبل جاء من الأنصار اثنا عشر رجلًا، عشرة من الخزرج ورجلان من الأوس، فلقوه عليه السلام عند العقبة، فبايعوه على الإسلام، وبعث معهم مصعب بن عمير يعلمهم الإسلام، فأسلم على يديه خلق كثير، ثم لقيه في الموسم الآخر ثلاثة وسبعون رجلًا وامرأتان، فبايعون على الإسلام وعلى الحرب، فلما تمت هذه البيعة، وهي بيعة العقبة الثانية، أمر رسول الله ﷺ من كان معه من المسلمين بالهجرة إلى المدينة فخرجوا أرسالًا.

---

(١) إثارة الترغيب والتشويق (ص: ٣١٣).

خاف المشركون أن يلحق رسول الله ﷺ بالمهاجرين فتصبح المدينة قاعدة لهم ينطلقون منها إلى مواجهتهم، فقرروا قتل رسول الله ﷺ والتخلص منه.

الإذن بالخروج:

نزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ فأخبره بتآمر قريش وإجماعهم على قتله، وأن الله تعالى قد أذن له بالخروج إلى المدينة.

توجه النبي ﷺ نحو المدينة النبوية بصحبة أبي بكر الصديق س، وسلك طريقًا غير معهود، واتجه من هذا الطريق نحو جبلٍ يعرف بجبل ثور، ثم صعد هو وصاحبه الجبل حتى انتهيا إلى غارٍ في قمة الجبل، وهو غار حراء.

مكث رسول الله ﷺ وأبو بكر في الغار ثلاث ليالٍ حتى يخفَّ عنهما الطلب، ثم خرجا من الغار وسلكا طريق الساحل إلى المدينة وكان ذلك في غرة ربيع الأول من السنة الأولى للهجرة.

النزول بقباء:

وفي الثامن من ربيع الأول، نزل رسول الله ﷺ بقباء وسط تكبير المسلمين الذين خرجوا للقائه، وكانت المدينة كلها قد زحفت للاستقبال، وكان يومًا مشهودًا.

أقام رسول الله ﷺ بقباء أربعة أيام، وقام بتأسيس مسجد قباء وصلَّى فيه، وهو أول مسجد أسس على التقوى في الإسلام.

النبي ﷺ في المدينة

وفي يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول، سار النبي ﷺ نحو المدينة، تلك القرية الطيبة التي فتحت له ذراعيها، واستقبلت أصحابه، ووفرت لهم الحماية والغطاء، بعد أن لاقوا صنوف العذاب في مكة.

وأدركته ﷺ معة في بني سالم بن عوف، فصلّى بهم في المسجد الذي في بطن الوادي، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة.

وبعد الجمعة دخل النبي ﷺ المدينة في يوم تاريخي أغر، غيرَّ مجرى التاريخ، فامتزجت فيه الدموع بالفرحة العارمة، وارتجت فيه المدينة بأصوات التكبير والتهليل والتحميد، واستقبلت بنات الأنصار رسول الله ﷺ بقولهن:

طلـــــــع البــــــــدر علينـــــــــا
مــــــــن ثنيــــــــات الـــــــــوداع
وجـــــــب الشــــــكر علينـــــــا
مــــــــــــــــــــــــا داع لله داع

فمرت ناقة النبي ﷺ حتى بركت في بني النجار على باب دار أبي أيوب الأنصاري، فنزل النبيُّ ﷺ على أبي أيوب إلى أن بني مسجده ومساكنه.

فأقام ﷺ لدينة عشر سنين كوامل، وتوفي بها صلوات الله وسلامه عليه.

أسامي المدينة

للمدينة النبوية أسماء متعددة، وكلها أسماء مدح وثناء وهذا يدل على زيادة فضلها، فتعدد الأسماء دلالة على زيادة الفضل، ومن أسمائها المشهورة:

١- المدينة وهو المشهور المذكور في الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٢٠]، وقال ﷺ كما في الحديث السابق: «... يقولون يثرب، وهي المدينة» [متفق عليه].

والمدينة هي مدينة الرسول ﷺ، غلب عليها تفخيمًا، وإذا نسبت إلى المدينة، فالرجل والثوب مدني، والطير مديني.

٢- طابة: وفي الصحيح: «إن الله سمى المدينة طابة».

٣- طيبة: ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة» يعني المدينة، وتسميتها بطابة وطيبة مشتق إما من الطيب، وهي الرائحة الحسنة، وإما من الطيّب بفتح طاء وتشديد الياء، وذلك لخلوصها من الشرك وطهارتها، وإما من طيب العيش.

٤- الدار: كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ [الحشر: ٩].

وهناك أسماء أخرى كثيرة منها: دار الهجرة، ودار السنة، المطيبة، والمحبة، والمسكينة، والمجبورة، والمرحومة، ومدخل صدق، وحسنة، والحبيبة، والإيمان، وغير ذلك من الأسماء(١).

النهي عن تسميتها يثرب:

عن البراء س قال: قال رسول الله ﷺ : «من سمى المدينة يثرب، فليستغفر الله عز وجل، هي طابة هي طابة» [رواه أحمد].

قال الأزهري: كَرِه ذكرَ الثرب، لأنه فساد في لسان العرب وقيل مأخوذ من التثريب وهو التوبيخ والملامة.

من فضائل وخصائص المدينة

هناك جملة كبيرة من الفضائل والخصائص لهذه المدينة النبوية المباركة، إلا أننا نشير إلى أهمها فمنها:

١- أن الله تعالى اختصها من بين سائر البلاد لتكون مهاجر النبي ﷺ والله تعالى لا يختار لنبيه إلا الأفضل.

٢- أن فتحها لم يكن بقتال، وإنما بالدعوة والقرآن كما قالت عائشة رضي الله عنها: «كل البلاد افتتحت بالسيف، وافتتحت المدينة بالقرآن».

---

(١) انظر: إعلام الساجد بأحكام المساجد للإمام بدر الدين الزركشي (ص: ١٦١-١٦٣) باختصار.

٣- بها موضع حياة النبي ﷺ وجهاده آخر عمره، وموضع وفاته عليه الصلاة والسلام، وبها قبره الشريف، وقد حكى القاضي عياض الإجماع على أن هذا الموضع أفضل بقعة على الإطلاق.

٤- من فضائلها أنها حرمٌ آمن كمكة، يحرم قتل صيدها أو تنفيره، ولا يعضد شوكها ولا يختلى خلاها، وقد قال النبي ﷺ : «المدينة حرامٌ ما بين عيرٍ إلى ثورٍ، لا يختلى خلاها، ولا ينفر صيدها، ولا تلتقط لقطتها، إلا لمن أشاد بها، ولا يصلح لرجلٍ أن يحمل فيها سلاحا لقتالٍ، ولا يصلح أن يقطع منها شجرة، إلا أن يعلق رجلٌ بعيره» [رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني].

٥- ومن فضائل المدينة: تحريم الإحداث فيها أو إيواء المحدثين، أقوال النبي ﷺ : «المدينة حرامٌ ما بين عيرٍ إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثًا أو آوى فيها محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا» [متفق عليه].

قوله: «من أحدث فيها حدثًا»؛ أي: ارتكب ما يخالف الشرع من بدعة أو معصية أو ظلم. قوله: «أو آوى محدثًا»؛ أي: نصره ووفر له الحماية والمنعة.

٦- ومن فضائل المدينة أن الإيمان يتجه إليها وينضم إليها، فهي مأوى أفئدة المؤمنين، وكم من الناس من يتمنى سكناها، ويبكي شوقًا إلى زيارتها، والتنعم بالصلاة في مسجدها، قال النبي ﷺ : «إن الإيمان ليأرزُ إلى المدينة كما تأرِزُ الحيةُ إلى جُحرها» [متفق عليه]. ومعنى يأرز: ينضم ويجتمع بعضه إلى بعض.

٧- ومن فضائل المدينة: نها تنفي عنها الخبث من الناس، كما قال النبي ﷺ في الحديث الأول: «أمرت بقرية تأكل القرى، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد» [متفق عليه]، وقوله ﷺ : «تنفي الناس» عموم يراد به الخصوص، أي: تنفي من لا إيمان له، ولا خير فيه. قال ابن عبد البر. وقال ﷺ : «المدينة كالكير تنفي خبثها» [متفق عليه].

٨- ومن فضائل المدينة: دعا النبي ﷺ لها بالصحة والبركة فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدمنا المدينة وهي وَبِئة، فمرض أبو بكرٍ، فكان إذا أخذته الحمى يقول:

كل امريء مصبح في أهله والموت أدنى من شراك

وكان بلالٌ يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ بواد وحولي إذخرٌ وجليلُ
وهل أردَنْ يومًا مياه مجنَّة وهل يَبدُوَن لي شامةٌ

فلما رأى رسولُ الله ﷺ ما لقوا قال: «اللهم حبِّب إلينا المدينة كحبِّنا مكة أو أشدّ، اللهم صحِّحها، وبارك في صاعها ومدِّها، وانقل حُمَّاها إلى الجُحفة» [متفق عليه]. وقال ﷺ : «اللهم اجعل بالمدينة ضِعْفَي ما جعلتَ بمكة من البركة» [متفق عليه]. قال النووي: «والظاهر أن البركة في نفس المكيل في المدينة، بحيث يكفي المدّ فيها من لا يكفيه في غيرها».

٩-ومن فضائل المدينة أنه يستحب المجاورة بها ليحصلَ الموتُ فيها، وقد كان كثير من المهاجرين يكرهون أن يموتوا بغيرها، ويسألون الله أن يتوفاهم بها، وفي صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب س كان يقول: «اللهم ارزقني شهادةَ في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك».

١٠- ومن فضائل المدينة: شفاعة النبي ﷺ لمن يموت بها، لقوله ﷺ : «من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت ا، فإني أشفع لمن يموت بها» [رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني].

١١- ومن فضائل المدينة: شفاعة النبي ﷺ لمن يصبر على شدتها ولأوائها[1]، فقال: «... المدينة لهم لو كانوا يعلمون، لا يدعُها أحدٌ رغبةً عنها، إلا أبدل الله فيها من

(١) اللأواء: الشدة وضيق العيش.

هو خير منه، ولا يثبت أحد على لأوائها وجَهدها، إلا كنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة» [رواه مسلم].

١٢- ومن فضائل المدينة: أنه لا يدخلها الطاعون ولا الدجال، لقول النبي ﷺ: «على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال» [رواه مسلم]، والأنقاب: الطرق والفجاج.

وفي البخاري عن أبي بكر عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل المدينة رعبُ المسيح الدجال»، وفي الصحيحن: «ليس من بلدٍ إلا سيطؤه إلا مكة والمدينة».

١٣- ومن فضائل المدينة: أنه لا يريد أحدٌ أهلها بسوء إلا أذابه الله في النار ذوبَ الرصاص، وذوبَ الملح في الماء، كما قال ﷺ : «لا يكيد أهل الميدنة أحدٌ إلا انماع كما ينماع الملحُ في الماء» [رواه البخاري].

انماع: ذاب، أي أهلكه الله تعالى ولم يمهله.

وفي رواية لمسلم: «ولا يريد أحدٌ أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوبَ الرصاص، أو ذوبَ الملح في الماء».

١٤- فضائلها ما جعل الله في عجوتها من الترياق والشفاء من السم والسحر، لقول النبي ﷺ : «من أكل سبع تمراتٍ مما بين لابتيها حين يصبح، لم يضرّه سمٌّ حتى يسمي» [رواه مسلم].

واللابة: الحرة وهي أرض ذات حجارة سودٍ كثيرة والمدينة بين لابتين، أو حَرَّتين. وفي رواية: «من تصبَّح بسبع تمرات عجوة، لم يضره ذلك اليوم سمٌّ ولا سحر» [متفق عليه].

١٥- فضل سكناها: عن سفيان بين أبي زهير س قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تفتح اليمن، فيأتي قوم يبسُّون، فيتحملون بأهلها ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتُفتَحُ الشام، فيأتي قومٌ يبسُّون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، ويفتح العراق، فيأتي قومٌ يبسُون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» [متفق عليه].

ومعنى قوله: «يبسُّون»؛ أي: يدعون ويزينون لهم الخروج من المدينة. وقوله: «والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» لما لها من الفضل، فإن الصلاة بمسجدها بألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام.

ويوضح هذا المعنى ما رواه مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يأتي على الناس زمان، يدعو الرجل ابن عمه وقريبه: هلمَّ إلى الرخاء، هلمَّ إلى الرخاء، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، والذي نفسي بيده، لا يخرج منها أحدٌ رغبة عنها، إلا أخلف الله فيها خيراً منه، ألا إن المدينة كالكير يخرج الخبيث، لا تقوم الساعةُ حتى تنفي المدينة شرارَها، كما ينفي الكير خبث الحديد».

١٦- ترك الناس للمدينة من علامات الساعة: عن أبي هريرة ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال: «تتركون المدينة على خير ما كانت، لا يغشاها إلا العوافي — يريد عوافي السباع والطير- فآخر من يحشر: راعيان من مُزَيْنَةَ يريدان المدينة، ينعقان بغنمهات، فيجداها ملئت وحوشًا، حتى إذا بلغا ثنيةَ الوداع، خرَّا على وجوههما» [متفق عليه].

وفي رواية: «ليتركنها أهلُها على خير ما كانت، مذلَّلةً للعوافي — يعني عوافي الطير والسباع-».

وفي رواية الموطأ: «لتتركنَّ المدينة على أحسن ما كانت، حتى يدخل الكلب أو الذئب، فيغذّي على بعض سواري المسجد(١)، أو على المنبر»، فقالوا: يا رسول الله! فلمن تكون الثمار ذلك الزمان؟ قال: «للعوافي: الطير والسباع».

(١) أي: يبول على بعض سواري المسجد أو على المنبر ولا حول ولا قوة إلا بالله.